GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER

تولين
في بلاد الحكايات



RABIE

casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين
في بلاد الحكايات

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل



RABIE

casterman



اِقْتَرَحَ طبّوشٌ على تولينَ وهو يَتَنَطَّطُ بَهِجاً فوقَ السَّريرِ :

– هيَّا بِنا إلى نُزهَةٍ ! أجابَتْهُ تولينُ وقدْ أثقَلَ النُّعاسُ أجفانَها :

– لا رَيبَ أنَّكَ قد جُنِنْتَ حتَّى تخطُرَ ببالِكَ فِكرَةٌ كهذِهِ في مثلِ هذا الوَقتِ المُتأخِّرِ ، فالظُّلمَةُ آخِذَةٌ في الاشتِدادِ ، والمَطَرُ يَتساقَطُ غزيراً !

– أنا لم أتحَدَّثْ أبداً عن نُزْهَةٍ خارِجَ المَنزِلِ ، كُنْتُ أقصِدُ نُزهَةً داخِلَ صَفَحاتِ كِتابِكِ الزَّاخِرِ بالحِكاياتِ والألوانِ .





يُحكَى في قديمِ الزَّمانِ أنَّ طائراً بهيَّ المَنظَرِ ،
حَسَنَ الصَّوتِ ، طَليقَ اللِّسانِ ، ذا حُلَّةٍ صَفراءَ
مُوشَّاةٍ ببعضِ السَّوادِ .

ما إن فَقَسَ هذا الطَّائرُ بيضتَهُ حتَّى أسمَتْهُ أمُّهُ (صُفرايَة) ، فراحَ
يملأُ الفضاءَ شَدواً عَذْباً ، أطرَبَ سُكَّانَ الغابَةِ . بَيدَ أنَّ سوءَ طالِعِهِ
قد أوقَعَهُ ضَحيَّةَ ساحِرَةٍ تَقْطُنُ منزلاً عندَ طَرَفِ الغابَةِ . ولأنَّ هذِهِ
المرأةَ الشِّرِّيرَةَ لا تطرَبُ إلاَّ لنقيقِ الضَّفادِعِ ، فقد باتَ هذا الطَّائرُ
الغرِّيدُ مَصدَرَ إزعاجٍ دائمٍ لها .

ذاتَ يومٍ ، ولَمَّا اشتَدَّ بِها الغَيْظُ ، رَمَتْهُ بمَسْحُوقٍ سِحرِيٍّ وهي تُرَدِّدُ :
(أحلْتُكَ صَبيّاً حتّى تَكُفَّ عَنِ التَّغريد .
اجمعْ ريشاتِ النّارِ السَّبع لتعودَ عُصْفوراً من جديدٍ) .



- أينَ أنا ؟ أنا أعرِفُ جيِّداً هذا البَلَدَ ! كلُّ الأشياءِ المُحيطَةِ بي ، قد سَبَقَ لي أن عاينتُها في كِتابيَ المُصوَّرِ . لا رَيبَ أنّي أحلُمُ ، ولَدَيَّ إحساسٌ غَريبٌ بوجودي داخِلَ كِتابٍ ، فرائحَةُ الوَرَقِ والحِبْرِ تَنْتَشِرُ حَولي ، لو رافَقَني طبّوشٌ ، لكانَ قد آنَسَ وَحدَتي .



- ماذا يجري ؟ على اليَمينِ ثَمَّةَ مَنْ يبكي ... وراحَتْ تولينُ تُمعِنُ النَّظَرَ ، ثمّ قالَتْ : أنا أعرِفُ هذا الصَّبِيَّ ! سوفَ أقفِزُ سريعاً إلى الصَّفحَةِ التَّالِيَةِ ، واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هوب .. !



– لا تبكِ أيُّها الصَّبيُّ الصَّغيرُ ، لا تبكِ أيُّها العُصفُورُ الصَّغيرُ !

– من أنتِ ؟

– أنا تولينُ ، وأمَّا أنتَ فاسمُكَ (صُفرايَةُ) . لقد قَرأتُ هذا الكِتابَ الَّذي يَروي قِصَّتَكَ ، وأعلَمُ أنَّكَ تُفتِّشُ عن ريشاتِ النَّارِ الَّتي تُحرِّرُكَ مِنَ السِّحرِ . لئن تعاوَنَّا في البَحثِ عنها ، لسَهُلَ العُثور عليها .

وفيما الطِّفلانِ يَتحادَثانِ وَصَلا إلى غابَةٍ شَديدَةِ الظُّلمَةِ .

قالَتْ تولينُ : أنا أرثي لحالِكَ يا صُفرايَةُ ، لأنَّكَ بَطَلُ حِكايَةٍ من أشَدِّ الحِكاياتِ غَرابَةً ، لَعَلَّ مَنْ أَلَّفَها بِهِ شيءٌ مِنَ الجُنونِ ، ثُمَّ تساءَلَتْ : أرأيْتَ كَمْ هي عَجيبَةٌ حَيَواناتُ هذهِ الغابَةِ ؟ فتساءَلَ الصَّبيُّ بدَورِهِ : وما الَّذي يُمَيِّزُها عن غَيرِها مِنَ الحَيَواناتِ ؟ أهي مُختَلِفَةٌ في عالَمِكُم ؟

- حَيَواناتُنا أكثَرُ .. بل أقلُّ .. الحَيَواناتُ هُنا لا تَقِلُّ شأناً عن حَيَواناتِنا . انظُرْ إلى القارِنِ الحِصانِ الخُرافيِّ الَّذي لَهُ قَرنٌ وَسطَ جَبينِهِ ، فأنا لم أشاهِدْ مِنْ قَبْلُ قارِناً حَقيقيّاً ، سوفَ أُخْبِرُ طبّوشاً عنهُ .

- تقولينَ طبّوشاً ؟ صِفيهِ لي . أجابتْ تولينُ : إنَّهُ مَخلوقٌ أُسطوريٌّ يعيشُ في عالَمِنا .



قالَتْ تولينُ للصَّبيِّ : التَزِمِ الحَذَرَ ، فها هي ذي المِحْنَةُ الأولى . علينا أن نعبُرَ على الشَّجَرَةِ هذِهِ الهُوَّةَ السَّحيقَةَ من غيرِ أن يختَلَّ توازُنُنا ، فالرِّيشَةُ الأولى على طَرَفِ الغُصنِ .

– أنا ما زِلتُ أتساءَلُ ، تُرى ماذا يوجَدُ في قَعْرِ هذا الوادي ؟

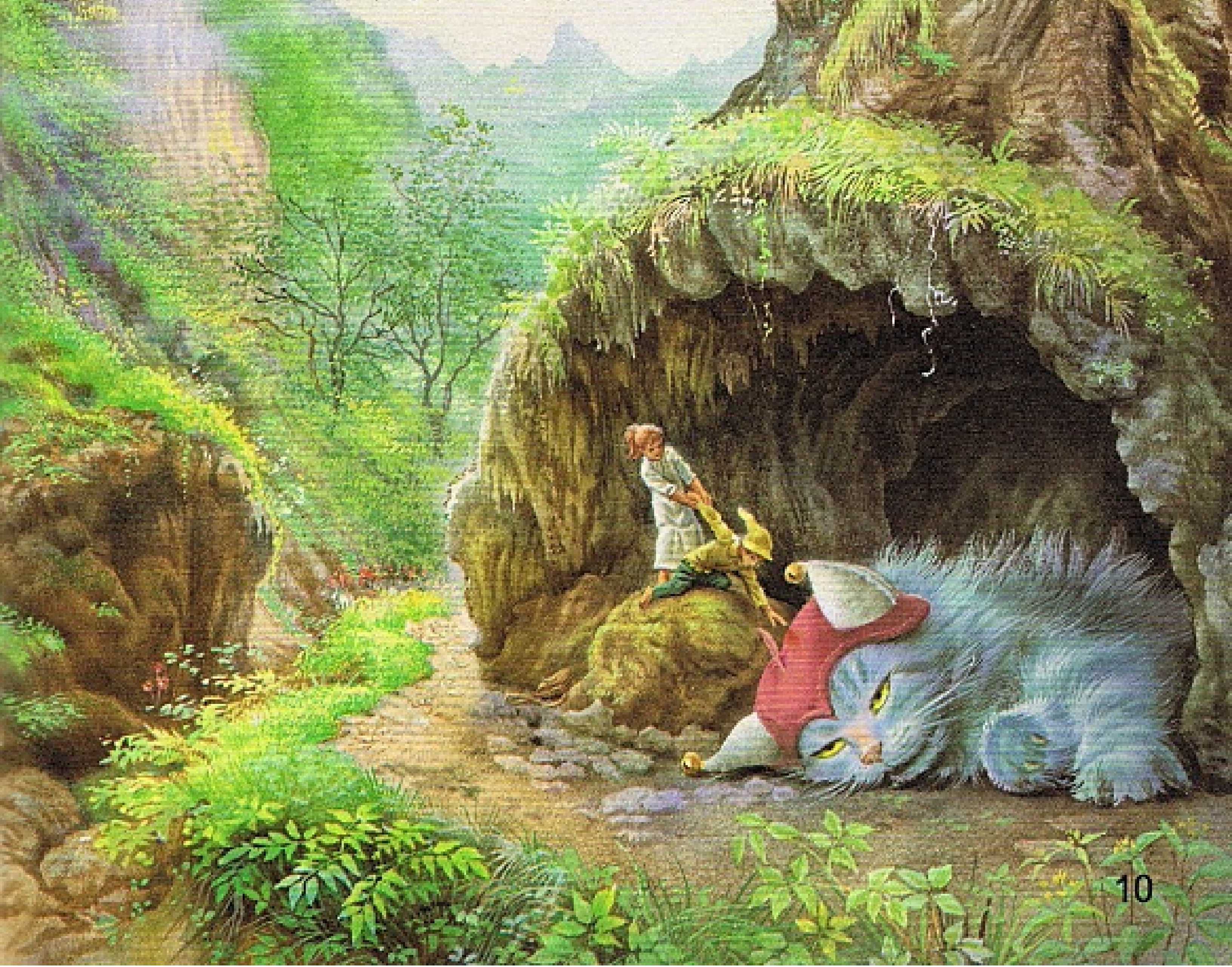
قاطَعَتْهُ تولينُ مُتَسائِلَةً قَلِقَةً : أهو عَميقٌ جِدّاً ؟



– من يدري فالرَّسَّامُ لم يرسُمْ ما يوحي بأيِّ شيءٍ ! قالَتْ تولينُ وهي تسيرُ بتُؤَدَةٍ فوقَ الشَّجَرَةِ : وهذا ما يزيدُني قَلَقاً ، لكن لا بأسَ ، فنحنُ على قابِ قوسَيْنِ مِنَ الرِّيشَةِ الأولى ... أخيراً ، لقد ظفِرنا بها !

قالَ صُفرايَةُ : في هذِهِ الصَّفحَةِ ، يَنبَغي علينا ألاَّ نُحْدِثَ أيَّ جَلَبَةٍ ، فها هي المَغارَةُ الَّتي يأوي إليها القِطُّ ذو القُبَّعَةِ ، ابنُ عَمِّ القِطِّ ذي الجَزمَةِ . هو كالبَيتِ ضَخامَةً ، وكالغُولِ نَهَماً ، فهو يستَطيعُ بكُلِّ سُهُولَةٍ التِهامَ عَشرَةِ أطفالٍ مِثْلنا .

– أُنْظُرْ يا صُفرايَةُ ، فالرِّيشَةُ مَغروسةٌ في قُبَّعَتِهِ ، وَعَلَيْكَ انْتِزاعُها من غيرِ أن تَمَسَّ بالجَرسِ لكيلا يَرِنَّ ، فنهلِكَ معاً ، وحاذِرْ خُصوصاً مِنَ السُّقوطِ . قال صُفرايَةُ : بررررر ! إنَّ الرِّيشَ ووَبَرَ القِطَطِ يُسبِّبانِ لي القُشَعْريرَةَ .



قالَ صُفرايَةُ : وأمَّا هَهُنا ، فالزُّرقَةُ هي السَّائدَةُ : الأشجارُ ، والعُشبُ ، بَلِ الطَّبيعَةُ كُلُّها مُتَّشِحَةٌ باللَّونِ الأزرَقِ ... تُرى ما سَبَبُ ذَلِكَ ؟ وأمَّا الحَيَواناتُ فقد زَرِقَتْ هي الأُخْرى لِتَغدُوَ غيرَ مَرئيَّةٍ ، فثَمَّةَ حَيَوانٌ مُفتَرِسٌ يكمُنُ في مَكانٍ ما للإيقاعِ بفَريسَتِهِ ... إنَّهُ الذِّئبُ الأزرَقُ . قالَتْ تولينُ ، وقد اعتَراها الخَوفُ فجأةً : الذِّئبُ ؟! هذا صَحيحٌ ، لقد تَذَكَّرْتُ .. لِنَختَبِئْ سَريعاً خَلفَ الأغصانِ ، لكنَّني أتَمنَّى ألاَّ يَتَسَبَّبَ هذا الأزرَقُ بتَلويثِ ملابِسِنا .

– أرى أنْ لا داعيَ لإضاعَةِ الوَقتِ سُدىً ، فلا توجَدُ ريشَةٌ في هذِهِ الصَّفحَةِ ، لِنُفَتِّشْ عنها في مَكانٍ آخَرَ !







قالَتْ تولينُ : هذا القَصْرُ يُشْبِهُ القُصورَ الّتي أراها في أحْلامي !

قالَتِ الأميرَةُ للطِّفلَيْنِ وقد شَحُبَ وَجهُها :

– أتبحَثانِ عن ريشَةِ النّارِ ؟ يستَحيلُ عليكُما الحُصولُ عليها ، لأنّها لا تُبارِحُ أبداً رأسَ الجِنّيَّةِ ، فهي تُزَيِّنُ بها شَعرَها . أعتَقِدُ أنّها لن تَتَخلّى عَنها ، لا بل قد تُحيلُكُما عَظايَةً أو عَنكبوتاً ، إلاّ إذا استَطَعْتُ استِدْراجَها لتَقِفَ أمامَ النّافِذَةِ ، وسوفَ أحاوِلُ أن أشغَلَها ، علَّكُما تُفلِحان في اختِطافِ الرِّيشَةِ ...

وأمَّا الآنَ ، فها نحنُ قد وَصَلْنا إلى صَفحَةِ العِملاقِ ذي المِفتاحِ الذَّهبيِّ . قالتْ تولينُ : يبدو وكأنَّهُ نَهِمٌ خَطِرٌ ، فقالَ لها صُفرايَةُ : أبداً ، وسوفَ أُفضي لَكِ بسِرٍّ ، هو يَتظاهَرُ بأنَّهُ شِرّيرٌ ، لكنَّهُ في الحَقيقَةِ رَفيقٌ طَيِّبٌ . أحياناً ، وعِندَما يُطْوى الكِتابُ ، كُنّا نَلعَبُ مَعاً لُعبَةَ الاختِباءِ ، كانَ يُضحِكُني كَثيراً ، لأنَّهُ ، ومن فَرْطِ ضَخامَتِهِ ، لا يستطيعُ إخفاءَ قامَتِهِ كُلِّها .



نادى صُفرايَةُ العِمْلاقَ ، ثُمَّ قالَ : إستَيقِظْ يا رَفيقي ، وافتَحْ لنا البابَ ، فما كانَ مِنَ العِمْلاقِ إلاَّ أن أطلَقَ زَمْجَرَةً اهتَزَّتْ مِنْ جَرَّائِها أرجاءُ البَيتِ ، وقد جَحَظَتْ عَيناه ، فقالَ لهُ صُفرايَةُ :

- لا تَجزَعْ يا رَفيقي ، فالفَتاةُ هذِهِ صَديقَتي .

صاحَ صُفرايَةُ : إِحْمِلْنَني أَيَّتُها الجِنِّيّاتُ المُجَنَّحاتُ الصَّغيراتُ ، واذهَبْنَ بي صُعُداً ، فأنا أراها على قِمَّةِ هَذِهِ الشَجَرَةِ . ثُمَّ صَرَخَ مُغتَبِطاً : الرِّيشَةُ الرَّابِعَةُ باتَتْ في حوزَتي ! قالَتْ تولينُ للجِنّيّاتِ الطَّيِّباتِ : أنتُنَّ في غايَةِ اللُّطْفِ ، فقد أسدَيتُنَّ لنا خِدمَةً عَظيمَةً ، لَئِنْ أَتَيتُنَّ لِزِيارَتي ، لأَعدَدْتُ لكُنَّ قالباً كبيراً مِنَ الحَلوى . عندئذٍ ضَحِكَت الجِنّيّاتُ الصَّغيراتُ وقُلنَ لها : نحنُ لا نأكُلُ الحَلوى ، لأَنَّنا لا نَتَقَوَّتُ إلّا بِرَحيقِ الأزهارِ . إذا أذِنتِ لنا ، لرُبَّما نأتي في إحدى ليالي الصَّيفِ إلى حَديقَتِكِ ، لِنَتَذَوَّقَ رَحيقَ أزهارِكِ ، وشُكْراً على دَعوَتِكِ !





ها نحنُ الآنَ نحطُّ رِحالَنا في مَمْلَكَةِ التِّنّينِ . ما بَرِحَ هذا الوَحْشُ الهائلُ ينفُثُ اللَّهَبَ من جوفِهِ ، مُحْدِثاً حُفَراً في الأرضِ ، وقد ينتهي بِهِ المَطافُ إلى إحراقِ الكِتابِ ! قالَتْ تولينُ : لو كُنْتُ أمَّهُ ، لَمنعْتُهُ مِنَ العَبَثِ بأعوادِ الثِّقابِ !





قالَ صُفرايَةُ : هي ذي الرِّيشَةُ الخامِسَةُ تَحتَ تِلكَ الحَجَرَةِ المُحترِقَةِ ، لنأخُذْها بِسُرْعَةٍ حتّى نَنْجُوَ بأنفُسِنا !

قالَتْ تولينٌ : هذِهِ الحِكايَةُ غايَةٌ في الجُنونِ ! لقد هَرَبْنا من نيرانِ التِّنّينِ لنَغوصَ بَعدَها في أعماقِ المُحيطِ .



- لِنَغْطُسْ معاً يا تولينُ ، فالرِّيشَةُ السَّادِسَةُ في القَعْرِ ، داخِلَ الصَّدَفَةِ الكَبيرَةِ . أرأيْتِ ذاكَ الشاطِئَ البَعيدَ ذا الرِّمالِ البيضِ وأشجارِ النَّخيلِ الباسِقَةِ ؟

إنَّها جَزيرَةُ الكَنْزِ ، حَيثُ أرسى قَراصِنَةُ البُحُورِ السَّبْعَةِ سَفينَتَهُم ، لِتَخْبِئَةِ صَناديقِهِم الملآنَةِ بالنَّفائسِ مِنَ الأحجارِ الكريمَةِ ، والأقمِشَةِ الثَّمينَةِ ، والتُّحَفِ الذَّهبِيَّةِ ..



قالَتْ تولينُ : تَبّاً ، فالرِّيشَةُ السَّابِعَةُ ليسَتْ في مَكانِها !

رَدَّ عليها صُفرايَةُ مُحْبَطاً : لقد ضاعَ كُلُّ شيءٍ هَباءً ، فأنا لن أعودَ أبداً ذاكَ العُصفورَ السَّعيدَ !

- لا تَقنَطْ ، ولا تَدَعِ اليأسَ يَتَمَلَّكُكَ ! لا رَيبَ أنَّ السَّاحِرَةَ قد خَدَعَتْنا ، فالرِّيشَةُ ما تزالُ عِندَها ، ولا بُدَّ مِنَ الحُصُولِ عليها ، ولهذا الغَرَضِ فقد أعدَدْتُ خُطَّةً . لِنَبْدَأْ أوّلاً بجمعِ الأصدقاءِ .



وارتَفَعَ صَوتُ تولِينَ : لِتَخرُجي فوراً أيَّتُها السَّاحِرَةُ ، فها هو صُفرايَةُ قد عادَ بالرِّيشاتِ السَّبْعِ ! صَرَخَتِ السَّاحِرَةُ الماكِرَةُ : هذا مُحالٌ ، فأنتِ تكذِبِينَ ، هو لن يستَطيعَ البَتَّةَ جَمْعَها كُلَّها ، لأنَّ الرِّيشَةَ السَّابِعَةَ ما بَرِحَتْ في حَوْزَتِي . أُنْظُري ، فها هي ذي في يدي !

عندئذٍ ، وبأسرَعَ مِنْ وَميضِ البَرْقِ ، اختَطَفَتِ الجِنِّيَّةُ المُجَنَّحَةُ الرِّيشَةَ مِنْ يَدِ السَّاحِرَةِ ، فيما انقَضَّ عليها العِملاقُ الطَّيِّبُ ليَبتَلِعَها وقُبَّعَتَها دُفعَةً واحِدَةً .

قالَ العِملاقُ وهو يلفظُ المِكْنَسَةَ مِنْ جَوْفِهِ : طَعْمُ السَّاحِرَةِ كَرِيهٌ جِدّاً ! صاحَتْ تولينُ بفَرَحٍ عَظيمٍ : أحسَنْتَ أيُّها العِملاقُ الطَّيِّبُ ! مَرحى أيَّتُها الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ ، لولاكُما ما استطَعْنا جَمْعَ الرِّيشاتِ السَّبْعِ ! سوفَ يعودُ صُفرايَةُ عُصفُوراً . ثمَّ أضافَتْ قائِلَةً للعِملاقِ : لا بُدَّ لي من تَقبيلِكَ تعبيراً عن شُكْرِي ، وعِرْفانا بالجَميلِ . دونَ تَرَدُّدٍ ،خَلَعَ العِملاقُ قُبَّعَتَهُ وانحنى لها .

لَمَّا طَبَعَتْ تولينُ على خَدِّهِ قُبلَةً رَقيقَةً ، احمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلاً كَفَتاةٍ صَغيرَةٍ .





قالَ صُفرايَةُ : أخيراً سأسترجِعُ طَبيعَتي الَّتي سُلِبَتْ مِنّي غَدْراً ، فأنا سأعودُ عُصفُوراً كما كُنْتُ ، يا للنِّهايَةِ السَّعيدَةِ . كم أشتاقُ إلى جَناحَيَّ ، لأنطَلِقَ بِهما إلى الأعالي ، وأنا أُغَرِّدُ وأشدو . أنا أشكُرُكُم جميعاً لأنَّكُم ...
لكن لم يَتَسَنَّ لهُ أن يُتمَّ عِبارَتَهُ لأنَّ السِّحْرَ قد زالَ عَنهُ . وأمامَ عَينَيْ تولينَ طارَ صُفرايَةُ وارتَفَعَ في الهواءِ ، فصاحَتْ وقد سَحَرَها مَنظَرُهُ : طِرْ وارتفِعْ عالياً ! لقد نَجَحْنا !

وعلى صياحِ تولِينَ استَفاقَ طبّوشٌ ، فقفَزَ إلى سَريرِها ليُلقِيَ عليها تَحيّةَ الصَّباحِ ، فقالَتْ لَهُ : لو تعلَمُ يا طبّوشُ ، لقد كُنْتُ في كتابٍ مَعَ العُصفُورِ صُفرايَةَ ! ما أجمَلَ الكُتُبَ ، وما أعظَمَ فائدَتَها . عندما نعرِفُ القِراءَةَ ، نستطيعُ القيامَ بأسفارٍ مُذهِلَةٍ ، نَتَعَرَّفُ من خِلالها أصدقاءَ كُثُراً ، ونعيشُ مُغامَراتٍ تكادُ لا تَنتَهي ! قالَ لها وهو يَتَفَرَّسُ فيها : في المَرَّةِ القادِمَةِ ، سوفَ أذهَبُ مَعَكِ ، ألا تَصحَبِينَني ؟

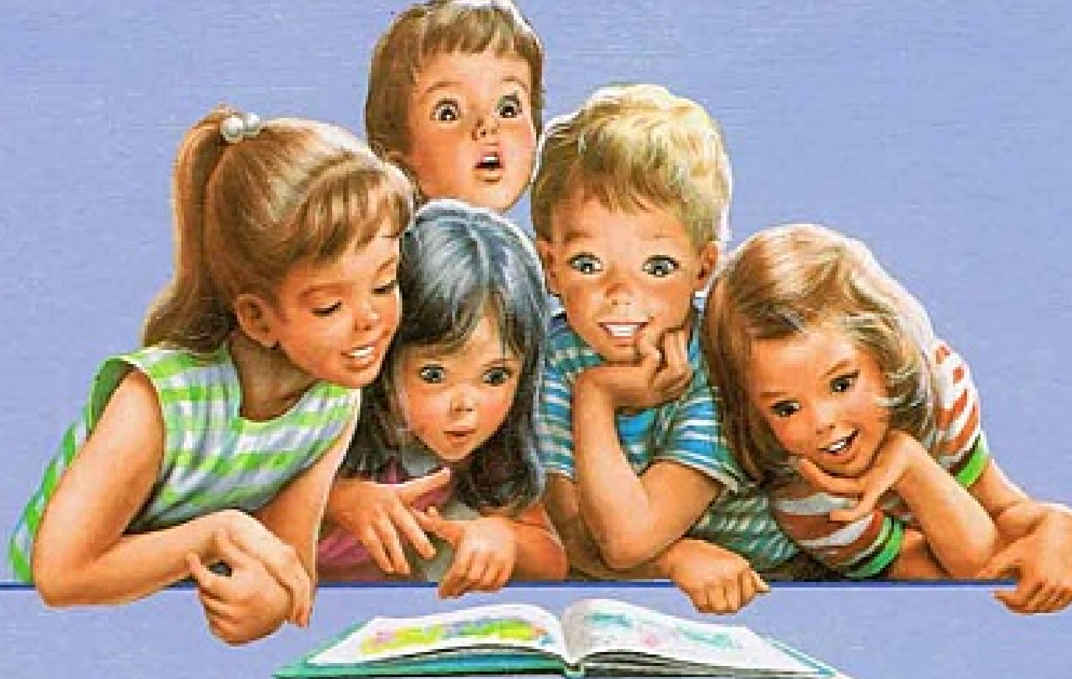
- أتريدُ مُرافَقَتي في أحلامي ؟

- بالطَّبعِ لا ، فأنا أُريدُ الذّهابَ مَعَكِ إلى المَدرَسَةِ لأتَعَلَّمَ القِراءَةَ !



www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10150-4 ISSN 0750-0580





1 تولين في المَزرعةِ
2 تولين في رِحلةٍ
3 تولين في البَحرِ
4 تولين في السّيركِ
5 تولين ، مَرحباً بالمدرسةِ
6 تولين في السُّوقِ الشّعبيّةِ
7 تولين على خَشَبةِ المَسرَحِ
8 تولين في الجَبَلِ
9 تولين في المُخيّمِ
10 تولين على مَتنِ الباخرةِ
11 تولين وفُصولُ السّنةِ
12 تولين في المَنزلِ
13 تولين في حديقةِ الحيَواناتِ
14 تولين تتسوّقُ
15 تولين في الطّائرةِ
16 تولين تركبُ الخَيلَ
17 تولين في المُتنزّهِ
18 تولين أمٌّ صغيرةٌ
19 تولين في عيدِ ميلادِها
20 تولين تعتني بالحَديقةِ
21 تولين تركبُ الدّراجةَ
22 تولين راقِصةُ الأوبرا
23 تولين في عيدِ الأزهارِ
24 تولين تُعِدُّ الطّعامَ
25 تولين تتعلّمُ السّباحةَ
26 تولين مَريضةٌ
27 تولين تزورُ خالتَها
28 تولين تسافرُ في القِطارِ
29 تولين تتعلّمُ الملاحةَ
30 تولين وصديقُها الدّوريُّ
31 تولين والحمارُ كَدُوش
32 تولين في عيدِ الأُمّ
33 تولين في المِنطادِ
34 تولين في المَدرسةِ
35 تولين تكتشِفُ المُوسيقا
36 تولين تُضيعُ كلبَها
37 تولين في الغابةِ
38 تولين والهديّةُ
39 تولين والجارةُ العَجيبةُ
40 تولين والأربعاءُ المَشهودُ
41 تولين في ليلةِ العيدِ
42 تولين والبيتُ الجديدُ
43 تولين في حفل تنكُّريٍّ
44 تولين والقِطُّ المتشرّدُ
45 تولين وراءَ السّمورِ
46 تولين والحادِثُ
47 تولين مُربّيةٌ
48 تولين في درسِ الاستكشافِ
49 تولين في درسِ الرّسمِ
50 تولين في بلادِ الحِكاياتِ
51 تولين في درسِ الطّهوِ

① CM1-50
ISBN 2-203-10150-4
6 214001 440503